الباب الثاني والخمسون

في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى : ﴿ **ويطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخلدون إذا رأيتهمْ حسبْتهمْ لؤلؤاً منثوراً** ﴾ [الإنسان : ١٩] . وقال تعالى : ﴿ **يطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخلدونَ * بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٧ ـ ١٨] . قال أبو عبيدة والفراء : مخلّدون لا يهرمون، ولا يتغيرون، قال : والعرب تقول للرجل إذا كَبِرَ ولم يشمط : إنه لمخلّد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكِبَر، قيل : هو مخلد، وقال آخرون : مخلدون : مُقَرَّطُون مُسورون ، أي في آذانهم القِرطة، وفي أيديهم الأساور . وهذا اختيار ابن الأعرابي، قال : مخلّدون : مقرطون. الخَلَدَة. وجمعها خُلْد ،وهي : القِرَطَة .

وروى عمر عن أبيه : خلَّد جاريته، إذا حلاَّها بالخلد، وهي القُرْطَة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير : مقرطون . واحتج هؤلاء بحجتين .

إحداهما : أن الخلود عام لكل من في الجنة، فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد يختص بهم، وذلك هو القرطة .

الحجة الثانية: قول الشاعر :

ومُخلَّدات باللُّجَينِ كَأَنَّما أَعجازُهُنَّ رَواكِدُ الكُثبانِ[1]

وقال الأولون : الخُلْد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون .

---

(١) البيت في « لسان العرب » خلد، وقوز، ولم يعزه لأحدٍ وفيه : أعجازهن أقاوز الكثبان .

وقول ترجمان القرآن في هذا كافٍ، وهذا قول مجاهد، والكلبي، ومقاتل. قالوا : لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون، وجمعت طائفة بين القولين، وقالوا : هم ولدان لا يعرض لهم الكِبر والهرم، وفي آذانهم القرطَة. فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى، أن كونهم ولداناً أمر لازم لهم، وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور، لما فيه من البياض وحسن الخلق وفي كونه منثوراً فائدتان : إحداهما :الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم. والثانية : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ، ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنظره، وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد

وقد اختلف في هؤلاء الولدان : هل هم من ولدان الدنيا، أم أنشأهم الله [في الجنة] إنشاء ؟ على قولين : فقال علي بن أبي طالب والحسن البصري : هم أولاد المسلمين الذين يموتون، ولا حسنة لهم ولا سيئة، يكونون خدم أهل الجنة، وولدانهم إذ الجنة لا ولادة فيها .

قال الحاكم :حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا آدم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ ولدانٌ مُخلدونَ ﴾ قال : لم يكن لهم حسنات فيجزون بها ، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فوضعوا بهذا الموضع . ومن أصحاب هذا القول من قال : هم أطفال المشركين، فجعلهم الله خدماً لأهل الجنة، واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القاري، عن أبي حازم المديني، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ قال : « سألت ربي للاّهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم، فأعطانيهم، فهم خدم أهل الجنة »[1] يعني الأطفال . قال الدارقطني : ورواه عبد العزيز بن الماجشون، عن ابن المنكدر، عن يزيد الرقاشي عن النبي ﷺ

---

(١) أورده السيوطي في « الجامع الصغير » (٤٥٩٨) ونسبه إلى ابن أبي شيبة، والدارقطني في « الأفراد » ، والضياء المقدسي، ورمز له بالصحة، وأورده الألباني في « الصحيحة » (١٨٨١) ونسبه إلى البغوي، وابن بشران، وتمام، وابن الأعرابي، وابن لال ، وابن عدي، وابن عساكر ورمز لحسنه .

اللاهون : قيل هم البله الغافلون، أو الذين لم يتعمدوا الذنوب، وإنما فرط منهم سهواً، أو الأطفال الذين لم يقترفوا ذنباً .

انتهى، ورواه فضيل بن سليمان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن أنس، وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه. وفضيل بن سليمان متكلم فيه. وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

قال ابن قتيبة : واللاهون، من لهيت عن الشيء إذ غفلت عنه، وليس هو من لهوت، وأصحاب القول الأول، لا يقولون : إن هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها ، وإنما يقولون : هم غلمان أنشأهم الله في الجنة إنشاءً، كما أنشأ الحور العين .

قالوا : وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة لما رواه ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثينَ سنة في الجنةِ، لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار »[1] رواه الترمذي .

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة، كالحور العين خدماً لهم وغلماناً ، كما قال تعالى : ﴿ **ويطوفُ عليهم غِلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنونٌ** ﴾ [الطور : ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أبناءهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلماناً لهم .

وقد تقدم في حديث أنس، عن النبي ﷺ : « أنا أوَّلُ الناسِ خُروجاً إذا بُعثوا ، وفيه يطوف عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهمْ لؤلؤ مكنون »[2] والمكنون : المصون المستور الذي لم تبتذله الأيدي، وإذا تأملت لفظة الولدان، ولفظة يطوف عليهم واعتبرتها بقوله : ﴿ **ويطوف عليهم غلمان لهم** ﴾ وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفاً ، علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الرَّبّ تعالى في الجنة خدماً لأهلها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب (٢٣) وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) في المناقب: باب (١) مطولاً، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١١٩/٦، ونسبه إلى ابن مردويه.